

## مجلة العلوم القانونية والاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

الأوضاع السياسية كعامل مؤثر على اتجاهات الرحلات العلمية بين بلاد المغرب

الأوسط و الأندلس خلال القرنين (4-6 هـ)

**The political situation as a factor influencing the directions of scientific trips between the Middle Maghreb and Andalusia during the two centuries**

(4-6 AH)

حفيفة معمر\*

جامعة الشهيد حمه لخضر، (الوادي)، hafida.maa17@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/03/01

تاريخ القبول: 2023/02/01

تاريخ ارسال المقال: 2022/12/02

\* المؤلف المرسل

## الملخص:

يمتد التواصل بين بلاد المغرب الأوسط والأندلس من القرن الأول هجري إلى القرن غاية أواخر القرن التاسع هجري ( 8 إلى 15 م)، أي من بداية الفتوحات الإسلامية وإلى غاية سقوط آخر معقل للمسلمين ( غرناطة 1492م) ببلاد الأندلس، وخلال هذه الفترة شهد البلدين المغرب الأوسط والأندلس تاريخاً مشتركاً ومتفاعلاً ومتشابكاً، لذا لن يكون من السهل إن لم نقل من المستحيل دراسة هذا التاريخ المشترك دفعة واحدة.

وعليه كان من الواجب التركيز على الدراسات الجزئية لهذا التاريخ المشترك، لذا ستركز هذه الدراسة على محاولة للتسليط الضوء على عنصر مهم من هذه التفاعلات بين البلدين، والمتمثلة في الحركات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس في فترة جده مهمة وهي ما بين القرنين 4 و 6 هـ، إذ يمكن في هذه المرحلة تمييز نوعين في اتجاه الحركات العلمية (من وإلى) تحكمت فيها عدة مؤثرات وأسباب خاصة السياسية منها التي عرفتتها البلدين، كما سنحاول إبراز أهم رواد العلم وآثارهم بكلا البلدين.

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط ؛ الأندلس ؛ أثر السياسة ؛ الحركة العلمية.

**Abstract:**

Communication between the Middle Maghreb and Andalusia extends from the first century AH to the end of the ninth century AH (8 to 15 AD). That is, from the beginning of the Islamic conquests until the fall of the last stronghold of the Muslims (Granada 1492 AD) in the country of Andalusia, During this period, the two countries, the Middle Maghreb and Andalusia, witnessed a common, interactive and intertwined history. So it would not be easy if not impossible to study this common history all at once.

Therefore, it was necessary to focus on partial studies of this common history. Therefore, this study will focus on an attempt to shed light on an important element of these interactions between the two countries, Which is represented in the scientific movements between the Middle Maghreb and Andalusia in an important Jeddah period, which is between the 4th and 6th centuries AH, As it is possible at this stage to distinguish two types in the direction of scientific movements (from and to), It was governed by several influences and causes, especially political ones, which the two countries knew. We will also try to highlight the most important pioneers of science and their effects in both countries.

**Keywords:** Middle Maghreb; Andalus; policy effect ; Scientific movement

### مقدمة:

امتد التواصل بين بلاد المغرب الأوسط والأندلس من القرن الأول هجري إلى القرن غاية أواخر القرن التاسع هجري ( 8 إلى 15 م)، أي من بداية الفتوحات الإسلامية وإلى غاية سقوط آخر معقل للمسلمين ( غرناطة 1492م) ببلاد الأندلس، وخلال هذه الفترة شهد البلدين المغرب الأوسط والأندلس تاريخاً مشتركاً متفاعلاً ومتشابكاً، لذا لن يكون من السهل إن لم نقل من المستحيل دراسة هذا التاريخ المشترك دفعة واحدة.

وعليه يجب التركيز على الدراسات الجزئية لهذا التاريخ المشترك، لذا سيتم في هذه الدراسة تسليط الضوء على عنصر مهم من هذه التفاعلات بين البلدين، والمتمثلة في الحركات العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس في فترة جده مهمة وهي ما بين القرنين 4 و6 هـ، وما يميز هذه الفترة هو التباين في الوضع السياسي للمنطقتين.

ففي بداية فترة الدراسة شهد المغرب انقلاباً خطيراً سببه قيام الدولة الفاطمية الشيعية به، وما تبعه من نتائج أثرت بصفة مباشرة على أمن المغرب الأوسط فجعلته يدخل حالة من الفوضى والاستقرار.

هذا الوضع كانت له انعكاسات على مختلف مناحي الحياة بالبلد، ولعل الذي يهم هنا هو الانعكاسات التي خلفها على الحياة الفكرية والعملية بالمغرب عموماً والأوسط خصوصاً، خاصة بين المذاهب، فمعروف إن أغلب سكان المغرب عموماً هم سننن، فأوجد الوافد الجديد الفاطميين ومذهبهم الشيعي، صراعاً بين المغاربة السننن، وحتى المغاربة الغير سننن كانت مذاهبهم أقرب لمذهب السننن منه للمذهب الشيعي، خاصة تلك الممارسات التي مارسها أنصار المذهب الشيعي من مضايقات على أنصار مذهب سكان من بلاد المغرب عموماً وبلاد المغرب الأوسط خصوصاً، مما جعل بالكثير من علماء وطلاب بلاد المغرب الوسط يهاجرون سواء فراراً من هذه المضايقات، أو بحثاً عن بيئة ملائمة لتلقي ونشر العلم، فتوجهوا إلى وجهات كثيرة، ولعل التي تم هنا هي هجرتهم نحو بلاد

الأندلس، هذه الأخير التي كانت تعيش في بداية الفترة المدروسة حالة من الاستقرار خاصة بعد قيام الخلافة الأموية هناك، فقد أولى الحكام هناك مثل الحكم المستنصر بالله اهتمام بالعلم والعلماء، مما حفز هجرة علماء وطلاب بلاد المغرب الأوسط إليها.

على عكس الوضع الذي كان قائما في بداية الدراسة من فوضى عارمة ببلاد المغرب إلى استقرار في نهاية فترة الدراسة، ومن استقرار ببلاد الأندلس في بداية فترة الدراسة إلى فوضى والتقهقر في نهايتها سببها الصراع بين الحكام بداية الزحف الغرب على المنطقة من السيطرة على بعض أجزائها وصولا الاستلاء عليها كليا، مما شجع العلماء من الهجرة من بلاد الأندلس لجهات كثيرة، منها بلاد المغرب الأوسط.

تكمن أهمية الدراسة في إبراز الوضع السياسي لمنطقة ما كعامل مؤثر أو نفر لأهل العلم.

ومن هنا طرحت الإشكالية التالية:

اشكالية الدراسة: إلى أي مدى ساهمت الأوضاع السياسية خلال القرنين الرابع والسادس هجريين في توجيه الحركات (الهجرات) العلمية بين المغرب الأوسط والأندلس؟ وماهي الآثار المترتبة عن هذه الحركات؟

أما عن منهج الدراسة: تم استخدام عدة مناهج وهي:

المنهج التاريخي: لسرد الأحداث.

المنهج المقارن: لمقارنة بين فترتي الدراسة.

المنهج التحليلي: استخدمته لمعرفة دور العوامل السياسية في التحكم في الحياة الفكرية والعلمية.

المبحث الأول: دراسة جغرافية للمنطقتين (المغرب الأوسط والأندلس) خلال الفترة بين القرنين 4 و6 هـ

ستتم في هذا المبحث معالجة الحيز الجغرافي الذي تمت على أرضه وقائع هذه الأحداث أي كل من المغرب الأوسط وبلاد الأندلس.

### 1- المطلب الأول: البيئة أو الحيز الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط:

سميت بلاد المغرب الأوسط بهذا الاسم لتوسطها بلاد المغرب الإسلامي<sup>1</sup>، وهذا المصطلح أطلقه الجغرافيون العرب عند تمييزهم بين أجزاء المغرب القريبة والبعيدة عن الشرق، إذ قسموا المغرب إلى ثلاثة أجزاء هي: الأدنى والأوسط والأقصى.

وبحكم توسط بلاد المغرب الأوسط بلاد المغرب، فهناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد تخومها، فصاحب كتاب الاستبصار ذكر آخر بلاد المغرب الأوسط وبداية المغرب الأقصى هي بلاد تازة<sup>2</sup>، ولو أن المؤرخين استطاعوا ضبط حدوده الغربية، فإن الحدود الشرقية لبلاد المغرب الأوسط غير دقيقة، لأن حدودها غير مستقرة، إذ لم يكن لها حاجز طبيعي كحدودها الغربية<sup>3</sup>، فقد ذكر ابن خلدون مرة أن حدودها الشرقية تبدأ من بونة شمالا باتجاه الجنوب إلى أريس ثم الأوراس حتى تبسة، وذكر مرة أخرى أن المغرب الأوسط يجاوره من جهة الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر و متيجة والمدية<sup>4</sup>.

## 2- المطلب الثاني: البيئة أو الحيز الجغرافي لبلاد الأندلس

كانت تعرف بلاد الأندلس بشبة جزيرة إيبيريا، فالاسم الأول نسبة لموقعها الذي تحيط المياه من أغلب جهاته<sup>5</sup> فهي عبارة عن شبه جزيرة، أما عن إيبيريا فنسبة إلى سكنها الأوائل الايبيريين<sup>6</sup>، واسم الأندلس في اللغة اليونانية اشبانيا، ثم سميت بعد ذلك بالأندلس الذي اعتمده المسلمون الفاتحون وذلك نسبة للأندالسيين الذين سكنوها<sup>7</sup>.

أما عن موقع بلاد الأندلس فهي تقع في الجنوب الغربي لقارة أوروبا، وشمال بلاد المغرب، تحيط بها المياه من ثلاث جهات، فمن الشمال البحر المحيط ( بحر الشوومن و و الغرب بحر الظلمات ( المحيط الأطلسي ) ومن الشرق والجنوب البحر الروماني ( البحر الأبيض المتوسط)<sup>8</sup>.

## المبحث الثاني: البيئة السياسية لحيز الدراسة خلال القرن الرابع وأثرها على اتجاه الحركة العلمية:

لطالما أثرت الأوضاع السياسية لمنطقة ما على مختلف مناحي الحياة بها، وباعتبار محور بحثنا أثر البيئة السياسية على اتجاه الحركة العلمية كان لابد من دراسة هذه الأوضاع.

### 1- المطلب الأول: البيئة السياسية لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري:

كانت بلاد المغرب الأوسط في الفترة الممتدة بين القرنين الثالث و الرابع هجريين غير بعيدة عن الأحداث التي عرفها المغرب عموماً، ففي هذه الفترة عاش المغرب حالة من الفوضى والاستقرار كانت نتيجة مجموعة من العوامل، تسببت في اضطراب الكثير من العلماء وطلاب العلم إلى الهجرة بحثاً عن بيئة ملائم لنشر العلم أو لطلبه، ومن الجهات التي توجهوا إلى بلاد الأندلس التي تتوفر على هذه البيئة في تلك الفترة، فماهي أسباب هذه الفوضى التي عرفها المغرب؟

عرف المغرب عموماً والمغرب الأوسط في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري انقلاباً خطيراً كانت له آثار سلبية على الوضع العام بالمغرب وأدخلته حالة من الفوضى و الاستقرار، تمثل هذا الخطر في قيام الدولة الفاطمية به، وما صاحب هذه المرحلة من صراع بين الفاطميين (الشيعة)، وبين الدويلات التي كانت قائمة بالمغرب، فقد دارت حروب عديدة بين الفاطميين من جهة، ودولة الأغالبة (بالمغرب الأدنى وشرق المغرب الأوسط)، و الدولة الرستمية (بالمغرب الأوسط)، بدأت منذ سنة 289 هـ، وتنتهي بسقوط دولتي الأغالبة والرستمية سنة 296 هـ<sup>9</sup>، ففي هذه الفترة تم الاستلاء على أغلب مدن المغرب الأوسط: قسنطينة، سطيف، تبسة، تاهرت عاصمة الدولة الرستمية<sup>10</sup>.

وبعد أن استقر الأمر نوعاً ما للدولة الفاطمية بالمغرب، برز صراع من نوع آخر بين الفاطميين أنفسهم بين عبيد الله المهدي وصاحب الفضل عليه عبد الله الشيعي، انتهى بمقتل هذا الأخير، بأمر من عبيد الله المهدي، فحدثت فتنة كبرى قام بيها أنصار عبد الله الشيعي<sup>11</sup>.

عامل آخر كان سبباً في الفوضى التي عاشها المغرب خلال هذه الفترة هو السياسة التعسفية التي مارسها الفاطميون تجاه سكان بلاد المغرب، ومنها أنهم أزهقوا كاهل السكان بكثرة الضرائب، كما قاموا بابتداع طقوس دينية جديدة وغريبة، التي لم يألفها سكان المغرب منذ الفتوحات الإسلامية الأولى له، وعلى رأسها التجريح بكبار الصحابة وأئمة الإسلام<sup>12</sup> التي استنكرها السكان، مما أدى إلى توالي ثورات سكان المغرب عليها في العديد من المرات<sup>13</sup>.

كذلك أضحى المغرب بؤرة للصراع بين أموي الأندلس والفاطميين بالمغرب، نتيجة لتخوف كل واحدة من مد نفوذها إلى الأخرى، فعمل الأمويون على مد نفوذهم إلى المغرب، وعان المغرب الكثير خاصة المغرب الأوسط، من ويلات هذا الصراع<sup>14</sup>.

نتيجة لهذه الأوضاع الأمنية الغير مستقرة لبلاد المغرب الأوسط، والآثار السلبية التي خلفتها، جعلت الكثير من علماء وطلاب المغرب عموماً والأوسط خصوصاً يهاجرون بحثاً عن بيئة ملائمة سواء لنهل العلم أو لنشره، ومن الجهات التي توجهوا إليها بلاد الأندلس. وهنا يطرح سؤال كيف كانت البيئة السياسية لبلاد الأندلس في هذه الفترة؟

## 2- المطلب الثاني: البيئة السياسية ببلاد الأندلس خلال القرن الرابع:

إذا كانت أوضاع المغرب سيئة للغاية في بداية القرن الربع هجري، فإنه على النقيض من ذلك كانت بلاد الأندلس تعيش حالة من الوحدة سياسية والقوة العسكرية الكبيرة، خاصة عقب تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الحكم عام 300 هـ، هذا الأخير الذي خاض حروباً طويلة استطاع من خلالها استعادة السيطرة على البلاد تحت سلطة مركزية في قرطبة، بل وامتدت سلطة الأمويين إلى أجزاء من شمال المغرب الأقصى الذي تسابق أمرائه في الدخول تحت ولاء الأمويين<sup>15</sup>، وأمام خطر نشأة الدولة الفاطمية في المغرب، أعلن عبد الرحمن بن محمد في عام 316 هـ/929 م نفسه خليفة على الأندلس<sup>16</sup>، وتلقب بالناصر لدين الله<sup>17</sup>، ليقوي مركزه الديني في مواجهة الدولة الفاطمية ببلاد المغرب<sup>18</sup>.

### 3- المطلب الثالث: تأثير البيئة السياسية للبلد في الدراسة على اتجاه الرحلات العلمية من بلاد المغرب

#### الأوسط إلى بلاد الأندلس ومظاهرها:

إن الوضع السياسي المتدهور والفوضوي الذي عاشه المغرب عموماً والمغرب الأوسط خصوصاً في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع هجري، انعكس سلباً على المجال العلمي والفكري للبلد، خاصة على رواد المذهب المالكي الذين ضيق عليهم الخناق من طرف الحكام الشيعة، فقد اختار العديد من طلاب المغرب وعلمائه الهجرة إلى مناطق أكثر أمناً على حياتهم، وكذا بيئة ملائم لنشر العلم أو تعلمه.

ومن الوجهات التي اختاروها بلاد الأندلس التي أجمع المؤرخون والدارسون على أنها بلغت في عهد الخلافة ذروة التقدم والازدهار في جميع المجالات، وبخاصة في المجال العلمي والفكري حيث اجتمع في حواضرها الكبرى عدد كبير من الكفاءات العلمية والدارسين والراغبين في العلم، وقصدها العلماء وطلاب العلم من المشرق الذي ضاق بأهل العلم والمعرفة، ومن المغرب ولم يتردد حكام قرطبة من جانبهم في مباركة هذا النشاط العلمي حيث سعوا إلى توفير الأمن والاستقرار لهؤلاء الوافدين فأحاطوهم برعايتهم وغمروهم بعطاياهم.

قدر حكام قرطبة العلم وأهله، فبعد أن عمل الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمان بن محمد الناصر لدين الله خلال فترة حكمه (300 هـ - 350 هـ) على توفير الأمن والرخاء وإيجاد المناخ الملائم لنمو ثقافتنا ورفقي علمي<sup>19</sup>، والذي سيستغله ابنه الخليفة الحكم المستنصر بالله خلال فترة حكمه (350 هـ - 366 هـ)، فقد وصفه ابن الخطيب بأنه: « عالماً فقيهاً بالمذاهب، إماماً في معرفة الأنساب، حافظاً للتاريخ، جامعاً للكتب، مميزاً للرجال من كل عالم وجيل، وفي كل مصر وأوان، تجرد لذلك وتهتم به، فكان فيه حجة وقدوة وأصلاً يوقف

عنده»<sup>20</sup>، فقد اهتم الحكم المستنصر بالله بالحركة العلمية، ووفر لها جميع الوسائل التي تجعل منها حقيقة على أرض الواقع<sup>21</sup>.

وبعد تولي المنصور بن أبي عامر الحكم بالأندلس، لم يشذ عن القاعدة التي كان عليها أسلافه من اهتمامهم بالعلم والعلماء، فقد كان محبا للعلماء، يكثر مجالستهم وينظرهم، وصنفوا لها تصانيف كثيرة<sup>22</sup>.

فالعناية التي أولاها حكام الأندلس للعلم وأهله، جعلت محبي العلم ينجدون إليها من كافة المعمورة بما فيها علماء المغرب الأوسط<sup>23</sup>، وهذا ما عكسته كتب التراجم التي بينت فعلا اقبال أهل المغرب على الأندلس من أجل التعلم، ومن هؤلاء ابن الفرضي في كتابه: "تاريخ علماء الأندلس"، وكتاب محمد بن حارث الخنشي: "تاريخ قضاة قرطبة"، وكتاب ابن الضبي: "بغية الملتبس"، وآخر في أخبار الفقهاء والمحدثين، وعن أسماء بعض رواد الحركات العلمية (الهجرات) من المغرب الأوسط إلى الأندلس سيتم ذكر ما يلي:

- أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله بن محمد التميمي التاهرتي - يكنى أبا الفضل - (309-395 هـ):

ولد بتاهرت بالمغرب الأوسط، سافر إلى قرطبة من بلاد الأندلس مع والده وهو صغير وذلك سنة 334 هـ، وسكن بها بمسجد مسرور، كان أبوه محدثا، ودرس هناك على يد شيوخها<sup>24</sup>.

- أحمد بن مخلوف المسيلي ( عرف بالخياط ): من أهل المغرب الأوسط دخل الأندلس واستوطنها، كان فقيها عالما بالمسائل حافظا لها، سن التكلم في الفقه عن المذهب مالك، وكان ورعا زاهدا، فاضلا، توفي بقرطبة سنة 393 هـ<sup>25</sup>

- أبو القاسم عبد الله بن خالد بن مسافر المعروف بالوهرائي ويعرف بابن الخراز (338 هـ - 411 هـ)<sup>26</sup> ، وقد أعطى ابن القاضي تفاصيل عن رحلته التي دامت أكثر من عشرين زار فيها الأندلس، فقال عنه: «... كان رجلا صالحا صحاب سنة، له رحلة قديمة...، لم يكن فيما أدركنا أوثق منه، ولا أروع ولا أحسن تمسكا بالسنة، سمع منه جماعة من الناس بالأندلس... دامت رحلته عشرين سنة»<sup>27</sup>

4- أبو محمد عبد الله بن يوسف بن طلحة بن عمرو: المتوفى سنة 429 هـ/1038م، وهو فقيه مالكي عالم بالحديث وله اهتمامات بالطب والحساب، وقد ولد ونشأ وتعلم بوهران، قال عنه أحد معاصريه: « قدم الأندلس تاجرا سنة 429 هـ، وسكن إشبيلية وقت السيل الكبير في ذاك العام، وكان من الثقات، وله رواية واسعة عن



شيوخ إفريقية مثل محمد بن أبي زيد القيرواني ونظرائه، وكان له علم بالحساب والطب وكان نافذا فيها، حدث عنه ابن خزرج، وقال لنا إنه قارب الثمانين»<sup>28</sup>.

5 - أبو بكر يحيى بن عبد الله بن محمد القرشي الجمحي الوهراني: (ت 431 هـ) هـ/1039م، وكان حافظا عارفا بالحديث، وهو من أهل وهران، وقد تعلم بموطنه وبالأندلس، قال ابن خزرج: «كان شيخنا هذا متصرفا في العلوم، قوي الحفظ حسن الفهم، وكان علم الحديث أغلب عليه»<sup>29</sup>.

المبحث الثالث: أثر البيئة السياسية لحيز الدراسة خلال القرن السادس هجري وأثرها على اتجاه الحركة العلمية:

### 1- المطلب الأول: البيئة السياسية لبلاد المغرب الأوسط خلال القرن السادس هجري:

إذا كانت الأوضاع السياسية لبلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا متردية نهاية القرن الثالث هجري وبداية القرن الخامس هجري، فإنه منذ منتصف هذا القرن الأخير إلى غاية نهاية الفترة المدروسة (القرن السادس هجري)، انقلبت الأمور وعرف المغرب استقرارا سياسيا كبيرا وذلك بظهور قوة جديدة على الساحة السياسية لبلاد المغرب عرفت بالدولة المرابطية<sup>30</sup>، على يد مؤسسها عبد الله بن ياسين الذي واصل مهمته خليفته يوسف بن تاشفين، فلم يكد ينتهي القرن الخامس هجري حتى أصبحت بلاد المغرب تحت سلطته<sup>31</sup>.

ومما قامت به هذه الدولة الفتية (الدولة المرابطية) عقب توحيدها لقبائل المغرب تحت راية دولة واحدة بعدما كان يسودها التنافر والتشتت، هو اعتناء حكامها بالحياة العلمية والفكرية لبلاد المغرب وانتعاشها، والاهتمام بالعلماء وتشجيعهم على الاستقرار بالمغرب، هذا ما حفز الكثير منهم خاصة المهتمين بالعلم ببلاد الأندلس على الهجرة إلى المغرب المرابطي و بيئته الملائمة للعلم وأهله، عكس ما كانت تعيشه بلاد الأندلس في تلك الفترة، فيكيف كانت أوضاع بلاد الأندلس أواخر القرن الخامس هجري والسادس ميلادي؟

### 2- المطلب الثاني: البيئة السياسية لبلاد الأندلس خلال القرن السادس هجري:

عرفت بلاد الأندلس تدهورا في أوضاعها السياسية، خاصة نهاية القرن الخامس هجري وبداية القرن السادس الهجري، نتيجة لسقوط الخلافة الأموية بالأندلس، وما خلفته من صراع على السلطة بين الأسرة العامرية والأمويين من جهة، وبين مختلف الطوائف التي كانت تعيش بالأندلس وقيام عدة إمارات متحاربة قدرت بأكثر من عشرين مملكة أو إمارة متحاربة فيما بينها، هذا التشتت والتناحر بين طوائف الأندلس شجع النصارى على ضربهم، فاستطاع

النصارى التغلب على المسلمين بالأندلس والاستلاء على معاقلمهم هناك، بداية من مدينة طليطلة التي استولى عليها ألفونسو السادس سنة 487هـ/1085م<sup>32</sup>.

وعلى الرغم من تدخل المرابطين وخلفائهم الموحدين في ما بعد، إلا أن هذا الوضع سيستمر في التدهور والانحدار، مما سيجعل كثيرا من علماء الأندلس يهاجرون بلادهم، ويستقرون في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية ومنها بلاد المغرب الأوسط التي فتحت ذراعيها لتحتضن الوافدين من الجزيرة الأندلسية، والباحثين عن الجو الأنسب لممارسة نشاطهم العلمي.

### 3- المطلب الثالث: تأثير البيئة السياسية لبلدي الدراسة على اتجاه الرحلات العلمية من بلاد الأندلس إلى المغرب الأوسط ومظاهرها:

انعكس التدهور في الأوضاع السياسية ببلاد الأندلس على الحياة العلمية والفكرية به، وراح ابناؤها يبحثون عن جو ملائم لنشر وتلقى العلوم المختلف، ومنهم من هاجر إلى بلاد المغرب الأوسط الذي كانت أوضاعه الأمنية أكثر استقرار مقارنة ببلاد الأندلس في القرن السادس هجري، والذين كان لهم أثر بالغ على الحياة العلمية هناك استفادوا وأفادوا.

فقد انتقل عدد كبير من أعلام الأندلس إلى بلاد المغرب من منتصف القرن الخامس هجري إلى القرن السادس هجري، سواء منهم الذين كانوا في مرتبة الشيوخ ممن تحملوا المشقة في سبيل نشر العلم، والتدريس والإفادة، أو الذين انتقلوا إلى حواضره لتحصيل العلوم على يد كبار علماء بلاد المغرب، لدرجة أن منهم من تولى مناصب هامة في التعليم، والإمامة والقضاء، وذلك لجودة تكوينهم العلمي، ومن مظاهر لمسة العلماء الأندلسيين على بلاد المغرب عموما وبطبيعة لم يكن لينفصل عنه المغرب الأوسط، والتي شملت معارف وعلوم عديدة برع فيها علماء الأندلس بالغرب وخلفوا العديد من الكتب نذكر منها<sup>33</sup>:

- **العلوم الدينية:** تفسير، وفقه، وعلم القراءات، علم الحديث، ففي مجال علوم التفسير شجع الأمراء المرابطون انتقال علماء التفسير الأندلسيين، ليتعاونوا مع علماء بلاد المغرب في هذا العلم، مثل: **ابن الخصال الغافقي**، وكان من أنبه علماء البلاط المرابطي؛ أما في علوم الفقه من المعلوم أن أهل الأندلس كانوا على المذهب المالكي المتبع من قبل المرابطين، مما ساعد على توثيق الصلة بين العدوتين، فظهر عدد من الأئمة، ومنهم: **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (520 هـ)**، من أبرز فقهاء المالكية ذكرا في عصره، وكان يحظى

بمكانة خاصة عند حكام الدولة المرابطية، علم القراءات هو الآخر كان له أهله من الأندلسيين ببلاد المغرب، ومنهم: محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي وهو من اشبيلية...

- **الأدب واللغة العربية:** كان للأندلسيين كذلك بصمتهم في تنشيط الحركة الأدبية بها، خاصة في فترة الموحدين، فوجد الشعراء عباقرة تناولوا كثيرا من فنون الشعر العربي، ونبغ من بينهم أفراد جمعت لهم دواوين ضمنت آثارهم، كما ظهرت مؤلفاتهم الأدبية القيمة، وقد سجلت كتب التراجم توافد مجموعة من العلماء على بلاد المغرب، من بينهم: الأستاذ النحوي أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفضل بن صواب الحجري الشاطبي الأندلسي، ...

- **التاريخ:** توافد عدد من المؤرخين الأندلسيين في العهد المرابطي، مثل: عبد الرحمان بن علي بن الصقر المتوفي ببلاد المغرب سنة 523 هـ، وابي الحسن علي بن بسام الشنتريني.

- **العلوم العقلية:** هي الأخرى ترك العلماء الأندلسيين بصمتهم حولها بالمغرب، فقد وجد بالمغرب بعض الفلاسفة، مثل: أبو بكر محمد بن الصائع المعروف بابن باجة، مالك بن وهيب..

- **الطب:** استفادت بلاد المغرب استفادة كبيرة من أطباء الأندلس، ومنهم: أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد مروان....

- **الرياضيات:** هناك شخصيات علمية أندلسية عديدة، تدين لها بلاد المغرب بالولاء، ومنهم: العالم الكبير أبا عبد الله بن عائشة، الذي وكل إليه حسابات جميع بلاد المغرب.

كما خلف هؤلاء الأندلسيين وغيرهم من الذين وفدوا على بلاد المغرب كتبا، استفادة منها كل أبناء بلاد المغرب بما فيهم أبناء المغرب الأوسط، ومن هذه الكتب: "كتاب آفاق الشمس وأعلاق النفوس"، وكتاب: "مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان"، وهما من تأليف أحمد بن عبد الصمد بن عبيدة الخزرجي المتوفي عام 582 هـ، وكتاب "المطالع على الصحيح" للعلامة أبو اسحاق بن قرقول (ت 569 هـ)، وفي التاريخ مصنف كتاب: "مختصر السر والمغازي من سير ابن اسحاق" لعبد عبد الرحمان بن محمد ابن علي الصقر الأنصاري، وتاريخ ابن جعفر الطبري، و"منتخب سير المصطفى"، لأبي سعيد بن عبد الملك بن محمد الخرسان، وفي الطب وجد مصنف "الأدوية المفردة" لأبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان.

وعن أسماء بعض رواد الحركات العلمية (الهجرات) من الأندلس إلى المغرب الأوسط ما يلي:

-محمد بن عبد الله بن مروان بن جبل الهمداني: وهو فقيه قاض من أهل وهران، نشأ بتلمسان، وأصله من الأندلس، من مدينة شلوينية، ولي قضاء تلمسان ثم مراكش بين عامي 584-585هـ ثم قضاء إشبيلية سنة 592هـ، ثم عاد ثانية إلى مراكش<sup>34</sup>.

-أبو عمران موسى بن محمد بن مروان الهمداني: من مدينة تلمسان ولكنه وهراني الأصل وقد انتقل سلفه من مراكش، وأصله من شلوينية من كورة إلبيرة، تفقه على يدي أبيه وروى عنه كما أخذ العلم عن غيره، واستقضى بمالقة ثم بغرناطة؛ فلم تطل مدة استقضائه بها حيث أتمه منيته في شعبان سنة ثمان وستمائة، وكان الحفل في جنازته عظيما حضره الوالي بغرناطة وشهد جنازته السلطان فمن دونه وذلك في شعبان سنة ثمان وستمائة.

-أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبل الهمداني- من أهل وهران وأصله من الأندلس، من مدينة شلوينية، كان فقيها خطيبا، ونال بخدمة السلطان دنيا عريضة، وكانت وفاته بمراكش في مستهل ربيع الآخر سنة 557هـ.<sup>35</sup>

#### الخاتمة:

تعتبر الأوضاع السياسية عامل مؤثر في عملية جذب أو نفر للحركات العلمية من وإلى منطقة ما، وهذا ما أثبتته الدراسة فنجد:

الأوضاع السياسية اللامستقرة التي عرفها المغرب نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري، كانت لها آثار سلبية على الوضع العام، وهذا ما جعل الكثير من علماء وطلاب المغرب عموما والأوسط خصوصا يهاجرون بحثا عن بيئة ملائمة سواء لنهل العلم أو لنشره، ومن الوجهات التي توجهوا إليها بلاد الأندلس التي كانت أوضاعها السياسية مستقرة وبيئة ملائمة للعلم وأهله.

في حين أنه في القرن السادس للهجرة عندما انقلبت الموازين، وأصبحت الأوضاع السياسية في بلاد الأندلس متدهورة، عكس ما أصبحت عليه بلاد المغرب الإسلامي من استقرار لأوضاعها السياسية، هذا ما أثر على باقي مناحي الحياة بما فيها اتجاه الحركات العلمية فوجدناها تتجه من بلاد الأندلس إلى المغرب الإسلامي.

كما خلصت الدراسة إلى أن الحركات العلمية ساهمت في تفعيل الحياة الفكرية والعلمية لمنطقة ما، وتوثيق الصلات والعلاقات الفكرية بين البلدين.

#### الهوامش

- 1 اتخذ لفظ المغرب أبعادا جغرافية مختلفة، فكان يدل على الجهة التي تغرب منها الشمس، ثم أصبح يدل على المنطقة الواقعة غرب دمشق جهة مغرب الشمس ثم صار هذا اللفظ يشمل البلاد الواقعة حدود برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، فالعرب الفاتحين أطلقوا عليه اسم إفريقية الذي كان سائدا إذ ذاك الوقت لدى البيزنطيين، وبامتداد الفتوحات الإسلامية إلى بلاد الأندلس بدأ لفظ إفريقية يتقلص شيئا فشيئا، وأخذ لفظ بلاد المغرب في الظهور والشمول وأصبح يعني كل مايلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي، أنظر: سعدوني نصر الله: تاريخ العرب السياسي في المغرب من الفتح العربي إلى سقوط غرناطة، دار النهضة، بيروت، 1988، ص: 19، محمد عسي الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب، ط: 3، القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط: 1، 1987، ص: 12.
- 2 مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق: سعد زغلول عبد الحميد، الاسكندرية، المطبعة الجامعية، 1958، ص: 186.
- 3 خالد بلعربي: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن - دراسة تاريخية وحضارية ( 633- 681 هـ / 1282-135 م)، ط: 1، 2005، ص: 31، 30.
- 4 عبد الكريم: التواصل الحضاري بين الأندلس وبلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين ( ق 5-7 هـ / 11-13 م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، موسم (2016/2017م)، - غير منشورة-، ص: 6، 7.
- 5 ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996، ص: 104.
- 6 ابن عبد المنعم الحميري: صفة الأندلس من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، نشر وتصحيح وتعليق: لفي بروفنصال، ط: 2، دار الجبل، بيروت، 1988، ص: 2.
- 7 نفسه.
- 8 بن محمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، مع: 1، دار صادر، بيروت، 1968، ص: 127-128.
- 9 السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ص: 512.
- 10 نفسه، ص: 513، 514.
- 11 نفسه، ص: 518.
- 12 نفسه، ص: 519.
- 13 محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، دار الفكر العربي، مصر، ص: 27.
- 14 لتفاصيل أكثر عن هذه الحروب أو المعرك أنظر: السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص: 530 وما بعدها.
- 15 عنان محمد عبد الله: دولة الاسلام في الأندلس، قسم: 3، ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 4، 1997، ص: 425، 426.
- 16 السيد عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص: 509.
- 17 ابن حزم: رسائل ابن حزم ( 384- 456 هـ)، تح: احسان عباس، ج: 2، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ط: 2، 1987، ص: 63.
- 18 محمد محمد مرسى: دولة الفرنجة وعلاقتها بالأموية في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1981، ص: 113، 114.
- 19 ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ط: 2، 1956، ص: 28-30.
- 20 ابن الخطيب: المصدر السابق، ص: 41.
- 21 لمعرفة هذه الوسائل أنظر: حاج عبد القادر بخلف: الاسهام الفكري للبربر بالأندلس من العهد العامري إلى نهاية الوجود المرابطي (371-539 هـ / 981-1144م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، السنة الجامعية 2008/2009، قسم الآثار والتاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، ص: 19 وما بعدها.
- 22 ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح: محمد يوسف، مع: 8، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1987، ص: 25.
- 23 السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار المعارف، لبنان، ص: 287، 288.
- 24 ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وأدبائهم، تح: بشار عودي معرف، ط: 1، ج: 1، دار الغرب، تونس، ط: 1، 2010، ص: 135.

- <sup>25</sup> القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام المذهب مالك، تح: محمد تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ج: 7، ط: 2، ص: 110.
- <sup>26</sup> ابن بشكوال: المصدر السابق، ص: 410.
- <sup>27</sup> القاضي عياض: المصدر السابق، ص: 218.
- <sup>28</sup> ابن بشكوال: مصدر سابق، ص: 289.
- <sup>29</sup> عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980 ط: 2، ص: 348.
- <sup>30</sup> دام حكمها من 448هـ إلى 541هـ / 1056م-1147م.
- <sup>31</sup> عبد الكريم: مرجع سابق، ص: 77-79.
- <sup>32</sup> لتفاصيل أكثر حول وضع الأندلس في هذه الفترة أنظر: المقري: مصدر سابق، مج: 4، ص: 350 وما بعدها.
- <sup>33</sup> عبد الكريم طهير: مرجع سابق، ص: 201 وما بعدها.
- <sup>34</sup> - ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام الهراس، ج: 2، دار الفكر، بيروت، 1995، ص: 161.
- <sup>35</sup> المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، ص: